

بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير الجلالين - سورة القمر (2)
من الآية 18 إلى الآية 40

الشيخ: عبد الكريم الخضير

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول المفسر -رحمه الله تعالى- في قوله: **{كذبت عاد}** [18] سورة القمر **{كذبت عاد}** "تبيهم هوداً" يعني فعندما ذكر من الأنبياء التي فيها المزدجر والادكار والاتعاض ذكر منها قصة نوح مع قومه، وكيف أهلكهم الله - جل وعلا- بالغرق؟ أتبع ذلك بعاد قوم هود، وقصص القرآن في غاية الأهمية، معرفتها في غاية الأهمية بالنسبة لطالب العلم؛ لأنها ما سيقت من أجل المتعة ولا على أساس أنها قصص تاريخية واقعية يتسلى بها الناس، وإنما كما قال الله -جل وعلا- في آخر سورة يوسف: **{لقد كان في قصصهم عبرة}** [111] سورة يوسف] لكن عبرة لمن **{أولي الأبواب}** فطالب العلم وهو بصدد دراسة قصص القرآن عليه أن يجمع هذه القصص من القرآن، بدأ من قصة آدم -عليه السلام- فيجمعها من جميع المواطن في القرآن، قصة آدم يجمعها من القرآن كله، والحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في أول "البداية والنهاية" صنع ذلك.

قد يكتفي ببعض المواطن عن بعض التي يرى أنه ليس فيه زيادة وهذا الاكتفاء ليس بجيد، بل على طالب العلم أن يجمع أطراف القصة الواحدة من جميع القرآن؛ لأن هذه القصة تأتي مختصرة في موضع، تأتي مطولة في موضع آخر، تأتي متوسطة في موضع ثالث وهكذا، فالتصور التام لهذا القصة وتام الإفادة من عبر هذه القصة إذا تصورت في المواطن كلها، والربط بين هذه المواضع في القصة الواحدة لا شك أنه ينير الطريق لطالب العلم، فيبدأ بقصة آدم وما حصل له من مبدأ خلقه إلى نهايته، يتصور تصوراً كاملاً لهذه القصة ويقرأ ما كتبه أهل العلم من الثقات كالحافظ ابن كثير مثلاً في هذه القصة؛ لأنه يجمع إلى ما جاء في القرآن ما جاء في الحديث والأثر، فقصاص القرآن للحافظ ابن كثير مهم جداً بالنسبة لطالب العلم، مع أن طالب العلم عليه أن يستخلص هذه القصة في مواطنها المتعددة من القرآن بنفسه ولا يعتمد على أحد، وهذا أمر متيسر يعني القرآن يمكن الإحاطة به بآياته، وهو يقرأ يصنف القصص ما يتعلق بآدم يضعه في موضع واحد، ما يتعلق بنوح يضعه في موضع واحد، هود كذلك، صالح كذلك إلى آخره ليكون تصويره دقيق، ولا يقع فيما وقع فيه بعض من علق على فتح الباري، البخاري وقع فيه بالنسبة لقصص الأنبياء تقديم وتأخير، والحافظ ابن حجر يذكر عن أبي الوليد الباجي أن نسخة البخاري في هذا الموضع كانت غير محبوكة يعني غير مجلدة -أوراق-، فسقطت بعض الأوراق ووضعت في غير محلها وحصل التقديم والتأخير.

الذي علق على فتح الباري طبعة الكليات الأزهرية قال: وقدّم البخاري قصة مدين نسيت والله بالضبط ليبين أن شعيباً هو نبي ثمود، يعني التقديم والتأخير الذي حصل؛ لأنه ذكر قصة شعيب بعد عاد، والأصل أن تكون متأخرة عنها يعني بعد عاد ثمود فقال: ليبين -رحمه الله- أن شعيباً هو نبي ثمود، وفي القرآن **{وإلى ثمود}**

أخاهم صالحاً [(73) سورة الأعراف] يعني يقع في مثل هذا الوهم الذي لا يقع فيه صبي، كله بسبب أنه ما تصور القصص على وجهها، وإلا في مثل هذا الخطأ لا يقع فيه أحد، نعم أوقعه في هذا الخطأ ما استصحبه من دقة الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في النظر والاستنباط والتحرير والترتيب، لكن مع ذلك هو بشر يعني كونه يقدم ويؤخر لا يعني أنه يقضى بكلامه على القرآن، أقول طالب العلم يجمع هذه القصص من جميع المواطن.

هناك كتاب اسمه: "تفصيل آيات القرآن" جمع فيه النظائر إلى بعض، لكنه الرجل ليس بمسلم وهذا الجمع إنما هو على حسب فهمه، فيه أيضاً لبعض المسلمين محاولات جمع للنظائر في القرآن، وموضوعات القرآن، لكن مع ذلك أنا لا أرتضي لطالب علم يريد المتابعة في هذا الطريق والسير على هذه المحجة أن يعتمد على غيره لا في القرآن ولا في السنة ولا في غيرها من العلوم، -يعني إذا تأهل لذلك- أم طالب المبتدئ لا يمكن أن يصنع شيئاً حتى يتأهل، لكن أنا أخطب طلبة متأهلين لمثل هذا فما المانع أن يمضي على القرآن من أوله إلى آخره، يسجل هذه القصص في كراس، أو في أوراق ما يتعلق بآدم يجعله على حدة في جميع القرآن، ما يتعلق بنوح يجعله على حدة وهكذا إلى أن ينتهي من الأنبياء المسمين وغير المسمين، هذا بالنسبة للقصص، وقصص غير الأنبياء كثير في القرآن، ثم يأتي إلى الأمثال وأهميتها لطالب العلم؛ لأن الله -جل وعلا- قال: **لوما يعقلها إلا العالمون** [(43) سورة العنكبوت]، لا بد أن نعقل هذه الأمثال عن الله -جل وعلا- يأتي إلى هذه الأمثال ويصنفها، يأتي إلى أقسام القرآن، يأتي إلى أنواع كثيرة في القرآن لا بد أن يكون طالب العلم على معرفة تامة بها؛ لأنه إن لم تكن العناية بكتاب الله فبأي شيء تكون، يستفيد أيضاً من قصص القرآن فيما كتبه أهل العلم الثقات من المؤرخين، وأيضاً ما جاء في السنة يعني البخاري -رحمه الله تعالى- ذكر هذه القصص، ذكر الأنبياء، وذكر أحوال الأمم الماضية وأبدع في ذكرها، والاستنباط منها، والتراجم عليها -رحمه الله- إلا ما حصل من التقديم والتأخير الذي أشرنا إليه، -والله المستعان-.

الطبعة السلفية من فتح الباري رقموا الأبواب حسب التسلسل التاريخي، فتجده مثلاً قال: واحد، اثنين، ثلاثة، سبعة عشر؛ لأن هذا الباب متأخر جداً عن الذي بعده، ثم رجع إلى أربعة، خمسة، ثم رجع إلى ثمانية عشر، إلى آخره، يعني هذا الترتيب ينبغي أن يعتني به طالب العلم؛ لأن هذا على حساب الترتيب التاريخي، يعني كون طالب العلم يجهل هذه الأمور لا شك أنه نقص وخلل في تحصيله، نعم كثير من طلاب العلم يعتني بالأحكام الحلال والحرام وهي محل عناية؛ لأنه لا يستطيع أن يعبد الله -جل وعلا- على الوجه المأمور به حتى يعرف الحلال من الحرام.

العقائد أيضاً رأس المال الفقه الأكبر يعتني بها طلاب العلم، ولله الحمد والعناية واضحة، السنة أيضاً لها أهل ولها وجود، ولها من يعتني بها في متونها، وأسانيدها، وشروحاتها، التفقه منها هذا واضح ولله الحمد، لكن العناية بكتاب الله ليست على المستوى المطلوب اللائق بكتاب الله، نعم يوجد من يتخصص بكتاب الله، ومن يتخصص بعلوم القرآن، لكن القرآن قاسم مشترك لجميع طلاب العلم، ما يقول: أنا والله متخصص بالسنة ما لي علاقة بالقرآن، هذا ما يمكن أن يقوله طالب علم أو العكس طالب علم متخصص بالقرآن يقول: ما لي علاقة بالسنة، ما يمكن أن يفهم القرآن إلا من خلال السنة، فالعلوم الشرعية متكاملة مترابطة، لما انتهى من قصة نوح مع قومه وما حصل من إغراقهم إهلاكهم بالغرق.

قال: **{كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري}** [18] سورة القمر] يقول المفسر: **{كذبت عاد}** {تبيهم هودا فعذبوا} يعني هل يتصور أن طالب علم تخرج في الجامعة من كلية شرعية ما يعرف أن هود هو نبي عاد؟ يوجد لأنه الآن يخرج طلاب يحفظون هذه المذكرات التي كتبها الأساتذة، وفيها خير وفيها علم، لكن ليست متكاملة، الأستاذ يعطى منهج، والمنهج فيه مفردات، قد تكون هذه المفردات على طريقة هذا الشيخ تحتاج إلى سنوات وهذا الشيخ عرف بالتطويل والاستطراد، لكنه لا يأتي على نصف المنهج، هذا الشيء مررنا به، ومر به غيرنا أحيانا ما نستطيع أن ننجز ولا نثلث المنهج، طالب العلم لا يعرف شيء، ويتخرج ويمكن نصف أو أكثر من نصف المناهج ما مرت عليه، ولا شك أن هذه الطريقة طريقة التعليم، وترك الأساتذة كل على منهجه، كل على طريقته، من الأساتذة من أنجز المنهج في شهر وجاء إلى القسم يسأل يقول: ماذا نصنع انتهينا من المنهج، وهو مقرر لثلاثة أشهر؟ قالوا: أنت أنهيته على سبيل الإيجاز فأعده على سبيل البسط ما في إلا هذا الكلام، ويش قال: نعم لا شك أن مثل هذا التدريس ناقص، أيضا بالمقابل بعض الأساتذة يستطرد فيأخذ في الحديث خمس محاضرات، ست محاضرات ثم يأتي في نهاية الفصل وقد شرح خمسة أحاديث أو ستة أحاديث والبقية ما شرحت، أو عشرة أحاديث بقي عشرين، أو ثلاثين حديث ما شرح، هذا أيضا خلل يعني الطريقة المناسبة جداً للموازنة بين الوقت والمنهج أن يتخذ كتاباً معيناً، وليكن شرحه مختصراً ما في إشكال، ثم يضيف إلى هذا الشرح المختصر ما يفتح الله به عليه من علمه، أو من مراجعته للكتب هذا مناسب جداً؛ ليوازن بين الوقت والزمن، وهذا الذي جعلنا نعتمد هذا التفسير وإلا بالإمكان أن نأخذ آية نستطرد فيها ثم ينتهي الوقت وما سويننا حاجة، ولذلك أقول قد يتخرج الطالب في الجامعة من كلية شرعية ويخفى عليه مثل هذا؛ لأنه لا يحفظ القرآن، وما مر عليه التفسير كامل -مر على بعض الآيات- وما مر عليه في قصص القرآن إلا نتف يسيرة، مثل هذا ما يحسن شيئاً يتخرج في كثير من الأبواب جاهل، نعم يعرف شيئاً مما مر عليه ومما ذاكره للامتحان يعرف.

لذلك التعليم النظامي مثل ما قلنا مراراً إنه لا يخرج علماء، نعم يخرج طالب علم هذا المتميز من هؤلاء الطلاب، يخرج طالب العلم يستطيع التعامل مع الكتب بحيث يستطيع أن يتابع التحصيل بنفسه، ولذلك كثير من طلاب العلم لما تخرجوا من الكليات الشرعية وباشروا الأعمال وجاء المحك والامتحان وجدوا أنفسهم محرجين، يسألونهم الموظفين في هذه الدائرة، والطلاب في المدارس، وكذا الجماعة في المسجد هذا تخرج من كلية الشرعية هذا شيخ، ثم بعد ذلك لا شيء، ما عنده شيء، يعني شيء يذكر مما يسأل عنه وإلا قد يكون عنده شيء، لكن ما يسأل عنه ثم بعد ذلك يحبط في نفسه ويتحسر، فإما أن يبدأ الطلب من جديد أو يقول: بلاش من العلم الذي أمضينا فيه بضعة عشرة سنة ثم لا شيء النهاية، فعلى الإنسان أن يهتم بنفسه، ويؤصل نفسه، ويقرأ الكتب كاملة، ويحضر شرح الكتب كاملة عند أهل العلم، ولا يقتصر على الدراسة النظامية، وإن كان بعض الناس ينتقد كلمة نظامية للمدارس والجامعات الرسمية ينتقد كونها نظامية؛ لأنه يفهم من ذلك أن دروس المساجد فوضوية.

إذا كانت هذه منظمة ونظامية فمفاد هذه الكلمة أن الدروس في غير المدارس والجامعات فوضوية؛ لأن النظام والأصل فيه الانتظام وما عدا الانتظام فوضى، وهذا لا يفهم لا من قريب ولا من بعيد، لكن أبداه بعض الناس فينبه عليه لا، لا الانتظام في دروس المساجد أكثر؛ لأنه يبدأ فيها الكتب من أولها إلى آخرها، ما يترك فيها فجوات كما هو في الدارسات الرسمية؛ لأنها غير محدودة بوقت، نعم قد يكون من طبائع بعض الشيوخ شيء

من عدم الانتظام، قد يكون في طبيعة بعض الطلاب شيء من عدم الانتظام هذا موجود، لكن الأصل في دروس المساجد ما تحدد بوقت، فتكمل الكتب ولا يقال: والله هذا وقت ضاق علينا فنترك هذا الباب، لا لأنه ما في وقت محدد، قد يمر هذا في الدراسات الرسمية لكن في الدراسات أو في الدروس المساجد لا.

كذبت عاد نبيهم هوداً **{فكيف كان عذابي ونذري}** {فكيف كان عذابي} هذا السياق مختصر جداً، وفيه طي وحذف قدره المؤلف بقوله: " فعذبوا " **{فكيف كان عذابي ونذري}** هذا إجمال "أي إنذاري" **{فكيف كان عذابي ونذري}** "أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه" **{فكيف كان عذابي ونذري}** يعني تصور أيه المسلم كيف عذب قوم هود!، كيف عذبوا؟ عليك أن تبحث كيف عذبوا مما في هذا السورة، وفي غيرها من السور، وما جاء في السنة، وما تناقله المؤرخون الثقات من أجل إيش؟ ما الفائدة؟ نعم، تعتبر تزدجر، تعرف سبب العذاب فتجتنب لئلا يحل بك ما حل بهم، إنذاري **{فكيف كان عذابي}** الذي وقع بهم بسبب المخالفة، بسبب التكذيب، بسبب الكفر **{ونذري}** "أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله".

الله -جل وعلا- ما ترك لأحد حجة أنذرهم، ورسولهم بينوا وبلغوا البلاغ المبين "أي وقع موقعه وقد بينه بقوله": **{إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً}** [(19) سورة القمر] "أي شديدة الصوت" **{فأقبلت امرأته في صرة}** [(29) سورة الذاريات] يعني في صوت **{صرصراً}** شديدة الصوت، ويأتي الصر صر والصر بمعنى البرد الشديد، فهي شديدة الصوت ويصاحبها برد شديد، ريح باردة شديدة مصوتة مدوية **{في يوم نحس}** "شوم".

هذا يقول: ألا يوجد تعارض بين قوله: **{في يوم نحس}** وبين نهي النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الطيرة أو التشاؤم من الأيام التي تحصل فيها مكروه للعبد؟

لكن هذا في القرآن، والنصوص لا يضرب بعضها ببعض، الله -جل وعلا- سمى ذلك اليوم نحس، الذي أهلك فيه عاد قوم هود سماه نحس -يعني شوم عليهم-، وسمي لملازمة وقوع العذب فيه لا لذاته، وإنما الشؤم الحقيقي في فعلهم الذي أوقعهم في هذه المصيبة وهذه البلية، لكن باعتبار الملازمة صار هذا اليوم ظرفاً لهذا العذاب صار بالنسبة لهم نحس شؤم، لكنه بالنسبة لهود مثلاً لا، بالنسبة لهود خير، وهكذا لا يعارض ما ورد فيه النص من تسميته نحس ونحسات، لا يعارض بهما، ورد عن النبي -عليه الصلاة والسلام- من الطيرة والتشاؤم وما أشبه ذلك؛ لأن الطيرة فيها معارضة للقدر، ومناقضة للقدر، والتشاؤم كذلك كل شيء يرد من غير ما يدل عليه، قد يكون هذا اليوم الذي تراه شؤم أو تتطير فيه ويمنعك من حاجتك قد يكون يمن بالنسبة لك، هذا الذي حصل لك تقول: والله خرجت إلى الدوام فحصل لي حادث فنتشاءم في هذا اليوم حيث وقع لك في أوله ما وقع، ألا تدري أن الله -جل وعلا- قد يكون ادخر لك من أجر هذه المصيبة ما يكفر به سيئاتك أو يرفع به درجاتك فيكون هذا خير لك، وليس بنحس ولا شؤم، لا تدري أن الله -جل وعلا- قد دفع عنك من الشر أضعاف ما وقعك لك فيكون هذا الحادث خير لك، وما الذي يدريك أنه نحس وما الذي يدريك أنه شؤم، لكن الله -جل وعلا- حكم على هذا اليوم بأنه نحس، لكن أنت ليس لك أن تحكم ولو حصل لك فيه ما حصل، أنت افترض أنك خرجت لصلاة الفجر فعثرت في حفرة وانكسرت رجلك ذهبت للمستشفى وجبرت، ثم جئت على العربية لصلاة الظهر فحصل لك ما حصل استطدام بسيارة مثلاً، أو انزلاق من درج حصل لك أكثر، وكذلك في صلاة العصر تقول: خلاص لا أصلي؛ لأن الصلاة صارت شؤم ونحس بالنسبة لي، كل ما خرجت أصلي وقد

قالها بعضهم: والله ما عمري طلعت المسجد إليلي اصدم، يا أخي هذا كيف تحكم علي؟ مثل هذا، أمر أوجبه الله عليك وكلفك به وما يدريك لعل الله -جل وعلا- يرفعك بهذه الأمور درجات لا تستطيع أن تصل إليها بعملك. فالمخلوق ليس له أن يسمى إلا ما سماه الله -جل وعلا- "وجاءت تسميته بالنص، أما هو لا يدري أين الخيرة حصل له في هذا اليوم ما حصل لكن يمكن دفع عنه من الشر أعظم، ورفع به منازل، وحطت عنه خطايا، وهكذا هذا شأن المصائب، وأشد الناس بلاء الأنبياء فلا يجوز لإنسان أن يتشاءم أو يتطير **{إنا أرسلنا عليهم ريح صرصراً}** "أي شديدة الصوت" **{في يوم نحس}** "شؤم" **{مستمر}** في يوم هل عذاب عاد في يوم واحد، أو في سبع ليالي وثمانية أيام؟ نعم ثمانية أيام من الأربعاء إلى الأربعاء ثمانية أيام، وهنا قال: **{في يوم}** إما أن يراد باليوم الوقت الذي عذبوا به طال أو قصر كما يقال: فتحدثنا ساعة، الساعة هذه ليس المراد به الساعة الفلكية التي هي ستون دقيقة، وإنما هي وقت قد يكون ساعتين، ثلاث، وقد يكون نصف ساعة أو ربع ساعة فلكية، المقصود أن اليوم يطلق والساعة تطلق ولا يراد بها حقيقة الزمن المحدد المقدر كما في قوله في الحديث الصحيح: **{فما رأينا الشمس سبتا}** يعني أسبوعاً من الجمعة إلى الجمعة ليس المراد به السبت فقط، وإنما المراد به الأسبوع الكامل من دعائه -عليه الصلاة والسلام- بالمطر إلى أن دعاء برفعه.

{مستمر} يعني "دائم الشؤم أو قويه" كما تقدم من المرة، وهي القوة ذوي مرة يعني ذي قوة، "وكان يوم الأربعاء آخر الشهر" ومعلوم أن عذابهم وهذه الريح التي أرسلها الله عليهم من الأربعاء إلى الأربعاء ثمانية أيام وسبع ليال.

{تنزع الناس} [20] سورة القمر] "تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد" **{تنزع الناس}** يعني هم حفروا حفر ولجؤوا إلى الشعاب، وتصدى لأفواه الشعاب رجال من أشدائهم وأقويائهم؛ ليردوا عن النساء والصبيان والضعاف هذه الريح، لكن أول ما بدأت بهؤلاء الشداد، وبعضهم حفر لنفسه حفرة فقتلته واجتته من هذه الحفرة، ورفعته ونكسته على رأسه فبان رأسه عن جسده، وبهذا يتم التصوير الدقيق **{كأنهم أعجاز نخل منقعر}** يعني إذا انتزعت النخلة من مكانها ما الذي يبقى في الأرض؟ حفرة، فيه أصل هذه النخلة، عجز هذه النخلة، عروق هذه النخلة هم أيضاً اجتثوا من الأرض ورفعوا عنها كما تصور رفع النخلة بالشياول والرافعات، لكن هذا الأمر أشد، ريح اجتثتهم من أصولهم إلى أن رفعتهم فنكستهم على رؤوسهم فدقت رؤوسهم وفصلتها عن أجسادهم، **{تنزع الناس}** "تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد" **{كأنهم}** "وحالهم ما ذكر" يعني وما حل بهم ما صور **{أعجاز}** "أصول" نخل منقعر، أصول أصل النخلة في قعر من الأرض -ومن أصعب الأمور قلع النخل-، يعني الأشجار الأخرى أسهل منها؛ لأنها راسية ثابتة شديدة، وتشبيهم بالنخل لطولها وقد تميزت عاد بالطول، يقول بعض المفسرين: إن طولهم يبلغ إلى اثني عشر ذراعاً -سنة أمتار-، وإن كان بعضهم ينازع في هذا ويقول: نحن رأينا بعض القبور في ديارهم قبور عادية يعني تصل إلى ثلاثة أذرع مثلاً كغيرهم، أربعة أذرع يعني من المترين فما دون، لكن يشهد لما يقوله المفسرون من أن آدم خلق طوله ستون ذراع، وما زالت ذريته تنقص حتى وصلت إلى ما نشاهد، ولذا أهل الجنة الطول طول أبيهم الطول -ستون ذراعاً- صح هذا في الصحيحين وغيرهما طول أبيهم.

على كل حال تشبيههم بالنخل من عدة وجوه:

ومنها ثبات النخل، وشدة وصعوبة اجتثاثها وخلعها صاروا مثلها، بحيث حفروا لأنفسهم وثبتوا أنفسهم بالأرض ومع ذلك نزعتهم هذه الريح.

{أعجاز}، أصول نخل منقعر، هنا يقول في هذا الطبعة منقطع ومنقطع، إيش عندكم في أحد معه تفسير الجلالين منقطع، منقطع نعم هو الأصل منقطع من القلع وهو الإزالة.

{أعجاز نخل منقعر} والتعبير بمنقعر دليل على أنهم وصلوا في حفروهم إلى مبلغ يثبتهم "وقعر الشيء: منتهاه" قعر الشيء منتهاه "منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، شبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنت في الحاقة" **{كأنهم أعجاز نخل خاوية}** [(7) سورة الحاقة] هنا قال: أعجاز نخل منقعر وهناك قال في الحاقة **{نخل خاوية}** فذكر هنا منقعر، ما قال منقعة وأنت في الحاقة، ما قال خاوي يقول المفسر: "مراعاة للفواصل في الموضوعين" يعني مراعاة لرؤوس الآي، والنخل إن نظر إلى مفردة نخلة فهو مؤنث، وإن نظر إلى الجمع فهو مذكر، والجمع أيضاً يذكر ويؤنث، أعني جمع التكسير يذكر ويؤنث، يذكر باعتبار الجمع ويؤنث باعتبار الجماعة، **{فكيف كان عذاب ونذر}** يعني كما تقدم، **{فكيف كان عذاب ونذر}** يعني تأملوا، اعتبروا، تفكروا فيما حل بهم **{فكيف كان عذاب ونذر}** كيف كان عذابي لهم بهذا الطريقة، وهل تتحملون ما حل بهم، وكيف كان إنذاري إياهم بالآيات البينات، بالعظات البالغات على لسان أفصح قومه؟ وحصل لكم ما حصل من النذر بما لا يدع لأحد أي حجة.

{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} [(17) سورة القمر].

وهذا يقول: من المعلوم أن تكرار الآية للتذكير والتنبيه، لكن ما مناسبة تكرار قوله:

{ولقد يسرنا القرآن} بين كل قصة وأخرى، مع أن القصص على الأمة السابقة؟

الخطاب هنا ليس للأمم السابقة، الأمم السابقة كلها مضت، ولم يرد بهذا الخطاب سوانا فكوننا يكرر لنا قوله - جل وعلا-: **{ولقد يسرنا القرآن للذكر}** نعم الأخبار والقصص للأمم السابقة، وانتهت الأمم، ومضت الأمم السابقة، بقي دورنا **{ولقد يسرنا القرآن}** المشتمل على هذه القصص وعلى غيرها مما ينفع المكلف في دنياه وأخراه، لكن هل من مدكر؟ هل من متعظ؟.

كذبت ثمود بعد ذلك ثلث بقصة ثمود، قوم صالح -عليه السلام- **{كذبت ثمود بالنذر}** [(23) سورة القمر] "جمع نذير بمعنى منذر، أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه" **{كذبت ثمود بالنذر}** "جمع نذير بمعنى منذر" والمنذر كما يطلق ويراد به من جاء بالندارة، يطلق ويراد به الندارة نفسها، لأنها تنذر وتحذر، جمع نذير بمعنى بمنذر أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح، النذر إذا أردنا به الأنبياء الذين أنذروا وحذروا أرسل إليهم صالح، لكن من كذب صالح كذب غيره من الأنبياء؛ لأنه من كذب نبيا واحدا فقد كذب سائر الأنبياء، ولذا قال: **{بالنذر}** أو كذبوا بما أنذرهم به صالح -عليه السلام- من الأساليب المتعددة التي أنذرهم بها إن لم يؤمنوا به ويتبعوه **{فقالوا}** [(24) سورة القمر] كان ردهم أن قالوا **{فقالوا ابشرا}** "منصوب على الاشتغال" يفسره الفعل نتبعه فالتقدير فقالوا: أنتبع بشرا منصوب على الاشتغال **{منا واحدا}** صفات، أو "صفتان لبشرا" أين الصفتان؟ **{منا}** هذه صفة؛ لأنها جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: "كائنا منا" متعلق بمحذوف

صفة، **{واحد}** صفة ثانية، الآن بشر نكرة حاجته إلى الوصف أكثر من حاجته إلى الحال وصف بكونه منهم، فهل هو بحاجة إلى وصف ثاني؟ أو حاجته إلى بيان حاله، أولى من وصفه؟ بعضهم يقول: **{واحد}** حال مقدر، أو مؤولاً بمنفرداً -يعني حال كونه منفرداً-، وعلى كل حال النكرة حاجته إلى الصفة والنعت أولى من حاجته إلى بيان الحال، لكن كونه بيّن وصفه بكونه منهم يعني يستوي فيه قوله: **{واحد}** أنه وصف له أو بيان لحاله **{نتبعه}** "مفسراً للفعل الناصب له، مفسراً للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي" والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك، أو ليس بملك أي لا نتبعه؟ "بمعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا يعني منفرد؟ وليس بملك من غيرنا أي لا نتبعه" ما له وصف يميزه، ما الذي يميزه علينا بأن يدعي ما ادعاء أو يخص من بيننا بالرسالة **{إنا إذا}** إنا أصلها **{إذا}** يعني "إن اتبعناه" **{لني ضلال}** لني ضلال يقول المفسر: "ذهاب عن الصواب"، الضلال ضد الهدى إن اتبعنا واحد ليس له ما يميزه إذا نحن ضالون ولسنا بمهتدين؛ لأنهم يزعمون أن الواحد شاذ، والرأي إنما هو مع الجماعة فكوننا نتبع وأحد ونترك الجماعة هذا ضلال، هذا على حسب تقديرهم.

{لني ضلال} "ذهاب عن الصواب" **{وسعر}** أي "جنون" إما أن يكون مفرداً أو جمع سعر، إما جمع السعير أو يكون مفرداً ومعناه الجنون، والمادة تدل على هذا التفسير يعني أصلها ومشتقاتها تدل على هذا فيقال: "سَعَرَ" و"انسعر" الفعل المطاوع إذا أصيب بالجنون أو ما يشبه الجنون، إذا أصيب بالجنون انسعر، وما يشبه الجنون من الافتتان بشيء لا يستحق، إما وراء دنيا ينسعر بها، ويتبعها نفسه، وتهيمن وتسيطر عليه على جميع أركانه وعلى تفكيره هذا انسعار، وهذا شبيه بالجنون، يعني إذا أثر ما يضر وترك ما ينفع هذا تصرف المجانين فقالوا: **{إنا إذا}** "إن اتبعناه" وليس له ما يميزه فنحن مجانين، انسعرنا وراءه تركنا عقولنا؛ لأن الذي ينسعر بالشيء، ويهتم له ويمشي وراءه من غير تفكير يكون قد ألقى عقله وراء ظهره، وهذا الشيء مشاهد يعني بعض الناس يلهث وراء هذه الدنيا، وتستولي عليه بجميعة بمجموعه بكليته فيتصرف تصرف المجانين، وإلا ماذا يستفيد الشخص إذا جمع مئات الملايين، بل زاد على ذلك، وأمضى وقته كله؟ هذا موجود في مشاهدة الشاشات والبورصات، وينظر ارتفع الذهب نزلت الفضة، ارتفع الدولار نزل الين، إذا ارتفع شيء أكل الحبة حبة الضغط، إذا نزل شيء أكل حبة السكر، إذا كذا وتارك جميع ملذات الدنيا لمشاهدة هذه الشاشات، بالله عليكم هل هذا عاقل وإلا مجنون؟ يعني أولاً ترك ما خلق لأجله وهو تحقيق العبودية لله -جل وعلا-، ترك الأُنس بالأهل والأموال والأصحاب، ترك جميع ملذات الدنيا، هل هذه حياة؟ هل هذا عقل؟ يعني يملك ما يكفي، ويكفي ولده العاشر من بعده إلى الطبقة العاشرة، أو إلى العشرين وهذه حياته، يطلع الفجر وهو على هذه الحالة، هذا انسعار، هذا ضرب من الجنون، ومن الناس من انسعر بأمور أخرى في متابعة النساء، في مشاهدة الأفلام، في كذا وكذا فيما يضر، هذا انسعار، هذا ضرب من الجنون.

ولذا أهل العلم يقولون: لو أوقف شخص وفقاً وقال: تصرف غلته للعقلاء هل ينظر في الأسواق أيهم أكثر كسباً؟ هؤلاء هم العقلاء، لا ينظر إلى العباد هؤلاء هم العقلاء الذين سعوا فيما يخلصهم من عذاب الله -جل وعلا-، الذين حققوا ما خلقوا من أجله، هؤلاء هم العقلاء حقيقة، أما من عداهم فكل بحسبه على حسب ما يسيطر عليه **{إنا إذا}** "إن اتبعناه" **{لني ضلال}** "ذهاب عن الصواب" **{وسعر}** "جنون".

{أُلقي الذكر عليه} [25] سورة القمر] أُلقي يقول: "بتحقيق الهمزتين، أُلقي بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية" أُلقي، كيف تنطق أُلقي، إيه بتسهيل الثانية "وإدخال ألف بينهما" بين الهمزتين أُلقي "على الوجهين" يعني على التحقيق والتسهيل "وتركه" فتكون القراءات أربعاً، **{الذكر}** "الوحي"، **{عليه من بيننا}** يعني كيف وقع الاختيار على هذا الشخص من بين المجموعة؟ إذا لم يوح إليه قال: "لم يوح إليه" **{بل هو كذاب}** "في قوله أنه أوحى إليه ما ذكر" يعني ما في ما يميزه من بين جماعته بحيث يوحي إليه، إذا "لم يوح إليه" **{بل هو كذاب}** "في قوله أنه أوحى إليه ما ذكر" **{أشر}** "متكبر بطر"، **{بل هو كذاب أشر}** يعني إذا كان يدعي ما لا دليل عليه حينئذ يكون كذاباً يعني كما نقول: لو قام واحد وقال: هو عيسى بن مريم مثلاً ماذا نقول له؟: كذاب، لو قام آخر وقال: أنا هارون الرشيد نقول: كذاب، لو قال: أنا ويدعي صفة نجم بكنبه يكذب، لكن هل عندهم من الأدلة ما يجزمون بكنبه؟ ليس عندهم من الأدلة ما يدلهم على كذبه بل عندهم ما يدل على صدقه؛ لأن الأنبياء إنما هم خيار قومهم، خيار قومهم فهو أولاهم بهذه المهمة.

{بل هو كذاب} في قوله: إنه أوحى إليه، **{أشر}** "بطر متكبر" يعني يدعي وصفاً يتميز به عن غيره هذه صفة المتكبر، لو ادعى شخص وصف قال: إنه يحمل ثلاث مائة كيلو مثلاً ادعى هذا الوصف، ما الذي دعاه إلى هذه الدعوى؟ ما يدعوه إلا إرادة التمييز على غيره والتكبر والأشر عليهم، وإلا فالمتواضع لو كانت حقيقته كذلك ما يقول هذا.

قال تعالى: **{سيعلمون غدا}** [26] سورة القمر] يعني "في الآخرة" **{من الكذاب الأشر}**، **{سيعلمون غدا}** ويطلق الغد ويراد به الآخرة، **{اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد}** [18] سورة الحشر] **{ما قدمت لغد}** يعني ليوم القيامة، وقد يراد بالغد هنا يوم العذاب الآتي ذكره.

{سيعلمون غدا} "في الآخرة" **{من الكذاب الأشر}** "وهو هم الذين كذبوا فيما زعموه أنه كذاب بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً"، **{سيعلمون غدا من الكذاب الأشر}** "وهو هم الذين كذبوه وكذبوا عليه وكذبوا على مرسله فهم أهل الكذب بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً".

{إنا مرسلو الناقة فتنة لهم} [27] سورة القمر] ابتلاء اختبار هم طلبوا، قالوا: ما دام تدعي هذه الدعوة فلك إله ولنا آلهة، نطلب من آلهتنا ونطلب من إلهك، الذي يتحقق له ما يطلب هو الإله الحق، الذي يحقق الطلب هو الإله الحق، قالوا: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد ناقة عشاء وبراء فطلبوا من آلهتهم ما حصل شيء، فطلب من الله - جل وعلا- فأخرج لهم هذه الناقة العشاء والبراء من صخرة من هضبة.

{إنا مرسلو الناقة} "مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا" قالوا: تخرج لنا من هذا الصخرة، من هذه الهضبة ناقة عشاء وبراء فخرجت، هذه معجزة لهذا النبي الكريم لكن كما قال الله -جل وعلا-: **{وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون}** [101] سورة يونس] **{فتنة}** محنة وابتلاء واختبار لهم لنختبرهم ما الذي حصل؟ كذبوا استمروا على تكذيبه، وفي النهاية قتلوها، **{فارتقبهم}** "يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم"، ارتقب انتظر، انتظر ما هم صانعون، هل يصدقونك ويؤمنون بك، أو يكذبونك ثم بعد ذلك انتظر النتيجة ماذا يصنع بهم؟ وما لهم؟ **{واصطبر}** "الطاء بدل من تاء الافتعال أي أصبر على آذاهم"، أصلها أصتبر "تاء الافتعال تقلب طا صارت" اصطبر "أي اصبر على آذاهم لا بد من الصبر، لا بد من التحمل هذه

سبيل الأنبياء، وهذه طريقهم، لا بد من الدعوة إلى الحق ولا بد من الصبر على الأذى فيه، أي اصبر على آذاهم.

{ونبتئهم} أخبرهم أن الماء **{قسمة}** يعني مقسوم بينهم وبين الناقة فيوم لهم ويم لها.

{ونبتئهم أن الماء قسمة بينهم} [(28) سورة القمر] يعني "مقسوم" **{بينهم}** "وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها" السياق يحتمل أن الماء يكون مقسوم بينهما فقط هم من غير ذكر للناقة هنا، لكن في موضع آخر **{لها شرب}** نعم، نعم.

فالأية الأخرى تقسر ما هنا **{ونبتئهم أن الماء قسمة}** يعني "مقسوم" **{بينهم}** "وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها" والجمع، بجمع المذكر لوحظ فيه تغليب الناس مقسوم بينهم وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها **{كل شرب}** "تصيب"، الشرب النصيب، والشرب المصدر، مصدر شرب يشرب أو يشرب "تصيب من الماء" **{محتضر}** يعني محذور، ليس معناه من الحظر الذي هو المنع لا، إنما هو من الحضور محتضر "يحضره القوم يومهم والناقة يومها" يعني يحضره القوم، يعني قوم صالح في يومهم ونوبتهم، وتحضرها الناقة في يومها ونوبتها، فتمادوا على ذلك"، يعني في يوم يشربون من هذا الماء، في اليوم الثاني تشرب الناقة ويشربون من لبنها، يعني حرمانهم من الماء في اليوم الثاني إلى بدل أفضل منه، فالمتوقع من أناس كرام عقلاء يقدرون الأمور قدرها أن يؤمنوا ويشكروا هذا النعمة، لكن ما الذي حصل؟ فتمادوا على ذلك يعني مشوا عليه مدة ثم ملوه فهموا بقتل الناقة، ولا شك أن هؤلاء قوم لئام هموا بقتل الناقة.

{فنادوا صاحبهم} [(29) سورة القمر] قدار بن سالف أشقى القوم، "قدارا ليقتلها" **{فتعاطى}** -يعني "تناول السيف"- **{ففقرو}** "به الناقة"، يعني ضربها في الأول مع رجلها بالسيف أو بسهم، يقولون: فرغت وبركت ثم جاء فأجهز عليها بالسيف، **{إذ انبعث أشقاها}** [(12) سورة الشمس] أشقى القوم، أشقى القبيلة الذي باشر، وإلا فالعقر نسب إليهم جميعهم؛ لأنهم أمروا به ورضوا به فالفعل ينسب إلى المباشر كما ينسب إلى المتسبب، وينسب إلى الراضي به ومن أعان عليه، ولذا جاء **{ففقروها}** [(157) سورة الشعراء] وهنا **{فتعاطى فقرو}** "أي قتلها موافقة لهم" فنسب إليه؛ لأنه هو المباشر، ونسب إليهم؛ لأنهم أمروا بذلك وأقروه ورضوا به، فالفعل ينسب إلى الجميع، ولذا نزل العقاب عليهم بعامة -نسأل الله العافية-.

{فكيف كان عذابي ونذر} [(21) سورة القمر] "أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه" والسنن الإلهية لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول، سنن مضطردة من أول الناس إلى آخرهم هذه عاقبة المكذبين، ولم يستثنى من ذلك إلا قوم يونس، لما رأوا العذاب آمنوا فكشف عنهم، أما بالنسبة لمن عداهم فالسنن واحدة والخشية من هذه السنن؛ لأن من ارتكب ما ارتكبوا عذب بما عذبوا به جزاء وفاقا "وبينه بقولهم: **{إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر}** [(31) سورة القمر] أي الذي يجعل أو الذي يجعل المحتظر "هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته يسمى الهشيم" ففعل بمعنى مهشوم مفعول؛ لأنه هشم هشمته هذه التي حظر عليها ومنع من دخول ما يؤذيها ومنعة من الخروج أيضا؛ لأن راعي الغنم وراعي الإبل وراعي المواشي يضع لها حظيرة إما من خشب وهذا كثير غالب، أو بسور مثلا، وفي البادية قد لا يتيسر لهم شيء من ذلك، فيضعون أشجاراً وأشواكاً وما أشبه ذلك تمنعها من

الخروج، وتمنع من دخول غيرها إليها، ما يتساقط من هذا المواد التي احتظر بها تدوسه هذه الماشية، فإذا جاءت الرياح ذرته هشيم تذروه الرياح، يطير.

{فكانوا}، {إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر} [31] سورة القمر] وما زال العامة في مزارعهم يضعون أو يجعلون شيئاً يسمونه حصار من هذا الباب، ويتساقط منه أشياء وهو هشيم تذروه الرياح إذا جاءت الرياح طارت به، كناية على رفته وخفته وضعفه، يقول الشاعر:

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

يعني إذا ما بقي إلا هو إلى الله المشتكى، يعني كما يكون في بعض البلدان، في بعض الأزمان، يعني يحتاج الناس إلى أصغر طلاب العلم يسألونه، يعني يأتي مفتي مثلاً من بلاد من البلدان البعيدة تجده ما يعادل طالب علم صغير والأمة كلها متعلقة به؛ لأن البلاد اقشعرت وصوح نبتها ما فيها إلا هذا، لكننا نجد بعض أهل العلم الكبار يصدرون الفتوى بمثل هذا البيت، يعني وجدناها في فتوى كثيرة من أهل العلم كبار كبار بالفعل، علماء ربانيين يسأل فيصدر الفتوى بهذا البيت يعني من باب التواضع، وإلا قد يلجأ الناس إلى مثل من يتصف بهذا الوصف إذا ما وجد في البلد غيره، ولذا على طالب العلم أن يسعى جاهداً في خلاص نفسه وخلص غيره، خلاص نفسه يكون بالعلم المؤسس المبني على أساس متين من نصوص الوحيين، وفهم لكلام أهل العلم، وإطلاع على أقوال فقهاء الأمة من أجل ألا يأتي بأقوال شاذة فلا يكون هشيمًا يتصف بهذا الوصف؛ لأن الناس قد يتقون بشخص ويسألونه ثم بعد ذلك إذا تتابع الناس عليه وتداركوا عليه اضطر أن يفتي بعلم وبغير علم، وهذا يوجد بكثرة في مثل هذه الأيام كما جاء في الحديث الصحيح **{إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهال، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا}** وهذا موجود الآن يعني الوسائل تعددت، وكثير ممن يقول: ابن اعرفوني يتصدر لمثل هذا الأمور، بينما لو قرأنا في سير السلف وجدناهم يتدافعون الفتى، قد يتردد الشخص بين عشرة لا يجد من يفتيه والمسألة الاحتياط فيها صعب، والتحري فيها أيضاً مع منازعة النفس حظوظها فيه أيضاً ما فيه، فعلى الإنسان أن يسعى في خلاص نفسه، إذا كان العلماء الأئمة الكبار يصدرون الفتوى أنا وقفت عليها كثيراً ما هو بافتراض هذا إذا إيش البيت:

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فهو يعتبر نفسه هشيم، وبعض طلاب العلم الصغار يعتبرون أنفسهم أئمة، لاشك أن مثل هذا منذر بخطر، ونسمع من يفتي بالفتاوى الشاذة المخالفة للنصوص، والمخالفة لما عليه صنيع الأئمة، ويبادر قد يسأل غيره في المجلس، يسأل شيخ كبير وهو حاضر فيبادر بالجواب قبله، تبي عافية لأن هذ مسؤولية وعليها تبعه؛ لأن الذي يفتي بغير علم هذا يكذب على الله -جل وعلا- **{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ}** [116] سورة النحل] هذا كذب على الله -جل وعلا- ويدخل مثل هذا دخول أوليا في قوله -جل وعلا-: **{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ}** [60] سورة الزمر] فالإنسان يحرص على ألا يتعجل في مثل هذه الأمور، نعم إذا احتيج إليه واضطر إليه ما في البلد غيره، ولا يمكن الاتصال بغيره، المسألة ضاق وقتها

يجتهد إذا كان من أهل الاجتهاد، وإذا كان يحفظ فتوى لأهل العلم يقول: أنا أحفظ لفلان، أنا أحفظ قول لفلان، لا يكلف نفسه ولا يحمل نفسه ما لا يطيق **{فكانوا كهشيم المحتضر}**.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [سورة القمر] كررت مراراً ولقد يسرنا القرآن للذكر للتذكر سهل والله الحمد، وهذه الأمة أناجيلها في صدوها، لكن لمن يدكر، لمن يتذكر لا لأهل الغفلة، لا لأهل الأمانى **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}** [سورة القمر].

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ} [سورة القمر] انتهى من قوم نوح وعاد وشمود، ثم ذكر قوم لوط **{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ}** [سورة القمر] (33) أي بالأمور المنذرة لهم على لسان لوط وهو ابن أخي إبراهيم -عليهم الصلاة والسلام-، **{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ}** "أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه" قوم لوط تكثر النسبة لمن يفعل الفاحشة نسبتة إلى لوط فيقال: لوطي مثلاً نسبة إلى هذا النبي الكريم، ويفعل الفاحشة الفعلة يقال: لها لواط يعني فإذا قيل الفاحشة أما زنا أو لوط، والقذف الرمي بالزنا أو باللواط، فإذا قيل: فلان لوطي بمعنى أنه يرتكب هذه الفاحشة، فهل هذه النسبة لوطي إلى النبي لوط أو إلى الفعلة الخبيثة اللواط؟ يعني من فعل الفاحشة ينسب إلى لوط أو إلى الفاحشة نفسها؟ الفاحشة بلا شك، كما يقال: "زاني" يقال: "لوطي" بالنسبة إلى هذه الفاحشة، بعض الناس يستنكر هذه النسبة؛ لأن لوطي أضيفت ياء النسب إلى لوط فانتسب إليه كما يستنكر أيضاً النسبة إلى المسيح، فالنصارى الذين بدلوا وحرفوا لا ينسبون إلى المسيح، فلا يقال: فلان مسيح؛ لأن ديانته اختلفت عن ديانة المسيح بالتحريف والتبديل والتغيير، فالمخالفة لا تنسب إلى الأنبياء فيقال: نصراني، ولا يقال: مسيحي، وهنا ماذا نقول بالنسبة لمن ارتكب هذه الفاحشة وهذه الفعلة الشنيعة المخالفة للفطر؟ حتى قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر هذه الفاحشة في كتابه ما توقعت ولا صدقت أن ذكراً يعلوا ذكراً، فطر سليمة، فهل يقال لوطي، أو الأولى أن يقال: لوطي نسبة إلى الفعل لواط يعني أصل التسمية باللواط، لا شك أن يعني التسمية فيها شيء من اسم هذا النبي الكريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فيها وإلا ما فيها، لكن لواط اسم منحوت من فعلت قومه، من فعلت قومه فهل الأولى النسبة لهذه الفعلة الفاحشة أن يقال: لوطي باعتبار أن المسألة الفعلة نحتت من اسمه، أو نقول: لوطي نسبة إلى الفعلة نفسها، مع أن الألف قد تحذف في النسب، وقد تزداد في النسب فالنسب أمر فيه سعة قد تحذف منه الألف وقد، يعني النسائي والنسائي، يمانى ويمنى تحذف وتزداد، مسألة النسب أمرها فيه سهولة، ومن هذه الحيثية كثر التعبير بالنسبة إلى هذا اللفظ، وإلا فالأصل أن النسبة إلى الفعل لواطى حذفت الألف تخفيفاً في النسبة.

{كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ} "أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه".

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا} [سورة القمر] يعني عذابهم بهذا **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا}** "ريحاً ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا" ريحاً **{حَاصِبًا}** ريحاً لأن حاصب اسم فاعل، الحاصب الفاعل للحصب وهو الرمي بالحصباء، فالذي ترميهم بالحصباء هي الريح، "ريح ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا".

{إِنَّا أَلَّ لُوطٍ} يعني عذابهم حصل بأن جبريل -عليه السلام- رفع القرى، قرى قوم لوط إلى عنان السماء حتى سمع الملائكة صياح ديكتهم ونباح كلابهم، ثم نكسها فأتبعوا بالحجارة، وبهذا قال جمع من أهل العلم: إن فاعل

هذه الفعلة الشنيعة يفعل به هكذا، يرمى من شاهق ويتبع بالحجارة، وقال بعضهم: إنه يرجم على أي حال؛ لأنهم أهلكوا بهذا الحاصب **{إِلَّا آلَ نُوطٍ}** "وهم ابنتاه معه" لما جاء الملائكة إلى لوط بعد مرورهم بإبراهيم -عليه السلام- وإكرامه لهم، جاءوا إلى لوط فامرأة لوط أخبرت القوم بأن عنده أضياف على أحسن صورة، فجاءوا إلى لوط طرقتوا الباب فلم يفتح لهم حاولوا الاقتحام يعني على ما جاء في التفسير فقال جبريل: دعهم افتحوا الباب فطمست أعينهم كما سيأتي، طمست أعينهم فلم يروهم وقالوا للوط: رأيناهم دخلوا فأين ذهبوا؟ فأين ذهبوا؟ -الله المستعان-.

فهؤلاء في طغيانهم يعمهون -نسأل الله السلامة والعافية- وهذا شأن من ابتلي بهذه الشهوة، تجده لا ينظر إلى من أمامه، لا ينظر إلى شهوته، ولذلك يقولون: من ابتلي بهذه الشهوة سواء كانت بالنسبة للنساء أو للذكور تجده لا ينظر ما أمامه عقوبة من الله، وتجده سهل من السهل جداً أن يعثر عليه يعمى عما أمامه، **{إِلَّا آلَ نُوطٍ}** "وهم ابنتاه معه".

{تَجْنِيَانَهُمْ بِسَحْرِ} بسحر من الأسحار، قال من الأسحار لماذا؟ ليبين أن لفظ سحر هنا نكرة؛ لأنه لو كان معرفة لمنع من الصرف لقل **{تجنيانهم بسحر}** بسحر "من الأسحار أي وقت الصبح من غير يوم معين"، يقول: **{إِلَّا آلَ نُوطٍ}** "وهم ابنتاه معه" وأما النسبة لامرأته فقد ضرب الله بها مثلاً للذين كفروا مع امرأة نوح، وهما ابنتاه معه **{تَجْنِيَانَهُمْ بِسَحْرِ}**، بسحر يعني من الأسحار ليبين أنه نكرة في أي وقت الصبح من يوم غير معين؛ لأنه كان في يوم معين صار معرفة، معروف فيمنع من الصرف، يقول: "لو أريد من يوم معين لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل" وإذا كان معدول عن المعرفة فيمنع للعدل كما في عمر معدول عن عامر، والعدل من العلل كما هو معروف، أي: وقت الصبح الأصل في السحر أنه ما بين في آخر الليل قبل طلوع الصبح، لكن جاء في موضع آخر موعدهم الصبح وليس الصبح بقريب.

طيب لو كان يوم معين صار معرفة ومنع من الصرف، يعني مثل مصر إذا أريد به المصر المعروف وقال: **{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ}** [سورة يوسف] (21) منع من الصرف، وإذا كان مصر أي مصر من الأمصار فإنه يصرف كما في قوله تعالى

طالب
.....
هاه.

{اهْبِطُوا مِصْرًا} [سورة البقرة] (61) يقول: وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ نُوطٍ نَجْنِيَانَهُمْ بِسَحْرِ}** [سورة القمر] (34) هذا الاستثناء هل يدل على أنه أرسل إليهم الحاصب كقوم لوط؟ أو أن الاستثناء إلا آل لوط لم يرسل عليهم؟ أو أرسل عليهم لكن **{تَجْنِيَانَهُمْ بِسَحْرِ}** الذي يظهر أنهم نجوا بسحر قبل الصبح الذي وقت حلول العذاب، ولذا يقول المؤلف: "وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان" والذي يظهر أنه لم يرسل إليهم، نجاهم الله -جل وعلا- بالسحر قبل أن يحل هذا العذاب على قوم لوط في الصبح، "وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل"، يعني أرسل إليهم فالاستثناء متصل المستثنى من جنس المستثنى منه، كلهم أرسل إليهم "وعبر عن الاستثناء عن الأول بأنه متصل وعلى الثاني" على الأول بأنه متصل "وعلى الثاني بأنه منقطع" أنهم لم يرسل إليهم، لأنهم ليسوا من جنسهم، هم من جنسهم على كل حال، هم من الجنس

على كل حال من الجنس البشري فهو متصل، اللهم إلا إذا قلنا إن من كذب جنس ومن آمن جنس قلنا استثناء منقطع، "وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس يعني باعتبار الجنس البشري، وباعتبار الموافقة والمخالفة من غير الجنس، وعلى كل حال آله الذين آمنوا به نجوا معه **{إِلَّا آلَ لُوطٍ}** ويدخل لوط في آله دخولاً أولياً، يدخل لوط في آله يعني هل يقال: إنه نجا آله وما يدرى عن مصيره، نجا من باب أولى والشخص يدخل في آله دخولاً أولياً كما في قوله تعالى: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** [سورة غافر] وهو معه بل هو يقدمهم نسأل الله العافية.

{نِعْمَةٌ} "مصدر، أي إنعاماً" **{مِنْ عِنْدِنَا}**، **{إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجِينَاهُمْ بِسِحْرِ * نِعْمَةٍ مِّنْ عِنْدِنَا}** [سورة القمر] "مصدر، أي أنعاماً من عندنا" **{كَذَلِكَ}** "أي مثل ذلك الجزاء" **{نَجْرِي مَنْ شَكَرَ}** "أنعمنا وهو مؤمن"، الشاكر هل نحتاج أن نقول وهو مؤمن، أو من أمن بالله ورسوله وأطاعهما، يعني هل يمكن أن يكون الشكر من كافر، **{كَذَلِكَ نَجْرِي مَنْ شَكَرَ}** الشكر من شرطه، صحة الشكر من شرطه الإيمان، أي مثل ذلك الإيمان **{نَجْرِي مَنْ شَكَرَ}** "أنعمنا وهو مؤمن أو من أمن بالله ورسوله وأطاعهما"؛ لأن الإيمان شرط لقبول الأعمال التي منها الشكر.

{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ} [سورة القمر] "خوفهم لوط" **{بِطَشْتِنَا}** أي: "أخذتنا إياهم بالعذاب" **{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ}** "خوفهم لوط -عليه السلام-" **{بِطَشْتِنَا}** أي: "أخذتنا إياهم بالعذاب" **{فَتَمَارَوْا}** "تجادلوا وكذبوا"، تماروا من المراء والامتراء وهو الجدل، أو من المرية وهي الشك، شكوا في ذلك **{بِالنَّذْرِ}** أي: "يأذره".

{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ} [سورة القمر] **{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ}** قومه راودوا لوط عن ضيفه أي: "أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم، وكانوا ملائكة"، ملائكة جاءوا من أجل تنفيذ ما أمر الله به -جل وعلا- من عذابه، مروراً بإبراهيم حين أكرمهم ثم بلوط -عليه السلام-، هؤلاء جاءهم الخبر أن لوطاً عنده أضياف على صور شباب في غاية من الحسن والبهاء والجمال، جاءوا فراودوه يعني تفاوضوا معه وكرروا ذلك "أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم"، يعني ليفعلوا بهم هذا العمل الخبيث الشنيع "وكانوا ملائكة" **{فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ}** "أعميناهم وجعلناها بلا شق كباقي الوجه" طمس مسح ما في فتحات للعيون، ومنهم من يقول: إنهم أخذت أبصارهم وبقية عيونهم قائمة.

{فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} "أعميناهم وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه"، **{فَدُوْقُوا}** "فقلنا لهم ذوقوا"، "فقلنا لهم ذوقوا" وكثيراً ما يقدر القول **{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ}** [سورة آل عمران] يعني فيقال لهم: أكفرتم وهنا **{فَدُوْقُوا}** "فقلنا لهم ذوقوا" **{عَذَابِي وَنُذْرٍ}** "أي إنذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته" هذه النتيجة، ذوقوا هذه النتيجة المرة؛ لأن الذوق يبين الطعم **{فَدُوْقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ}** "أي إنذاري وتخويفي أي ذوقوا ثمرته وفائدته" فالثمرة هي التي تذاق.

{وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً} [سورة القمر] "وقت الصبح من يوم غير معين" للعلة السابقة في سحر، **{عَذَابٍ مُّسْتَقَرٍّ}** "دائم متصل بعذاب الآخرة" **{مُسْتَقَرٍّ}** "دائم متصل بعذاب الآخرة" يعني مستقر، يعني متواصل على أن هلكوا جميعهم، ومباشرة بوشروا بعذاب البرزخ الذي يتلوه عذاب النار -نسأل الله السلامة والعافية- **{فَدُوْقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ}** [سورة القمر] كما تقدم.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [سورة القمر].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؟؟؟؛